

ندوات تلفزيونية - قناة بغداد - ومضات قرآنية - الحلقة (٢٦ - ٢٩) : النعم نوعان : نعم الدنيا فقط وهناك نعم الدنيا والآخرة معا .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٤-٠٧-٢٠١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

نعم الله لا تعد ولا تحصى :

أيها الأخوة الكرام؛ نعم الله لا تعد ولا تحصى، ولكن هذه النعم بعضها يكون في الدنيا فقط، فإذا غادر الإنسان الدنيا فقد هذه النعم، بعض هذه النعم في الدنيا والآخرة، الآية الكريمة اليوم هي قوله تعالى:

﴿سَلِّقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾

[سورة آل عمران: ١٥١]

هذه الآية أنت على شكل قانون، بمعنى أن أي إنسان أشرك بالله من لوازم الشرك أن الله سبحانه وتعالى يلقي في قلبه الرعب، ماذا يقابل هذه الآية؟ قوله تعالى:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام: ٨١-٨٢]

تكاد نعمة الأمن لا تعدلها نعمة، فرق كبير بين السلامة والأمن، موضوع السلامة ألا يصيبك مكروه، لكن نعمة الأمن ألا تتوقع المصيبة، لذلك ينعم المؤمن وحده بنعمة لا تعدلها نعمة، تؤكدنا هذه الآية الكريمة:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام: ٨١-٨٢]

وكان الله في هذه الآية جعل لنعمة الأمن التي لا تعدلها نعمة جعل لهذه النعمة شرطين، أولاً: الإيمان بالله، أن تؤمن أن الله بيده كل شيء، وأن الله إرادته هي النافذة فقط، فإذا كنت معه كان الله معك.

معية الله معيتان؛ خاصة و عامة :

لذلك قال تعالى:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾

[سورة الحديد : ٤]

قال علماء التفسير: هذه معية عامة بمعنى أن الله مع كل عباده، مؤمنهم وكافرهم، معكم بعلمه، معكم بمحاسبتكم إذا أخطأتم، لكن إذا قال الله عز وجل:

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الأنفال : ١٩]

الأولى معية عامة:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾

[سورة الحديد : ٤]

معية عامة، لكن الله إذا قال:

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الأنفال : ١٩]

هذه معية خاصة، وهذه المعية الخاصة هي معية الحفظ، معية التوفيق، معية يدافع الله عنك، معية السعادة، معية السكينة، لذلك قال تعالى:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

[سورة طه: ١٤]

من ذكره الله منحه الأمن و السكينة :

لكن الله عز وجل يقول:

﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

[سورة العنكبوت : ٤٥]

إذا أنت حينما تصلي تذكره، قال تعالى:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

[سورة طه: ١٤]

لكن وأنت تذكره هو يذكرك، إذا ذكرته أديت واجب العبودية، لكنه إذا ذكرك منحك نعمة الأمن، منحك نعمة الرضا، منحك نعمة السكينة، فبالسكينة تسعد بها ولو فقدت كل شيء، إذا الآية الكريمة:

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٥١]

طبعاً الذي كفروا أفراداً وجماعات، الكافر وحده يمتلئ قلبه رعباً لأنه أشرك، من لوازم الشرك أن القلب يمتلئ رعباً، من لوازم الإيمان أن القلب يمتلئ أماناً وسكينة، أي يوجد بقلب المؤمن من السكينة ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم، وكان هذه النعمة من أكبر النعم التي يمتن الله بها على المؤمنين، والآية أعيدها ثانية:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾

[سورة الأنعام: ٨١-٨٢]

شرطاً نعمة الأمان :

هناك شرطان لنعمة الأمان أن تؤمن بالله خالقاً ومربياً ومسيراً، أن تؤمن بأسمائه الحسنی وصفاته الفضلی، أن تؤمن بأن الله بيده كل شيء، وأنه يملكك خلقاً وتصرفاً ومصيراً، وأن فضلاً عن إيمانك لم تلبس هذا الإيمان بظلم، فالظلم ظلمات يوم القيامة، فالإنسان إذا توخى ألا يظلم أحداً فهو في بحبوحة الإيمان، وبحبوحة الأمان، فذلك الله عز وجل يبين لنا أنك إذا عرفت الله، واستقيمت على أمره، وتقربت إليه، وابتعدت عن ظلم الآخرين، فأنت في نعمة لا تعدلها نعمة، وأنت في سعادة لا تعدلها سعادة، والسعادة والسعادة أيها الأخوة؛ حق لكل مؤمن بل إن المطلب الأساسي لكل البشر السلامة والسعادة، السلامة والسعادة لا تتحققان إلا للمؤمن، والدليل أن الله عز وجل يميز المؤمن بهذه النعمة، نعمة الأمان، قال تعالى:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ

﴿الْأَمْنُ﴾

[سورة الأنعام: ٨١-٨٢]

لو أن الله عز وجل - كتعليق لطيف على هذه الآية - قال: أولئك الأمان لهم، الأمان لهم ولغيرهم، فإذا قال الله عز وجل:

﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾

[سورة الأنعام: ٨٢]

هذه الصيغة عند علماء اللغة صيغة قصر، الأمان مقصور عليهم ولا أحد غير المؤمن يتمتع بهذه النعمة، قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾

[سورة الأنعام: ٨٢]

كأن تقول في الفاتحة:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

[سورة الفاتحة: ٥]

لو قلت: نعبد إياك اختلف المعنى، نعبد إياك ويحتمل هذا النص أن نعبد غيرك، قال تعالى:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

[سورة الفاتحة: ٥]

دخلنا في القصر، لا نعبد إلا إياك، قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾

[سورة الأنعام: ٨٢]

الأمّن لهم وحدهم، قال تعالى:

﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام: ٨١-٨٢]

الشرك يقابل الرعب و الإيمان يقابل الأمن :

أيها الأخوة الكرام؛ الآية التي ذكرتها في مطلع هذا اللقاء الطيب تكملها الآية الثانية، الأولى:

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا﴾

[سورة آل عمران: ١٥١]

البناء بآء السبب، قال تعالى:

﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾

[سورة آل عمران: ١٥١]

يقابل هذه الآية، قوله تعالى:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ
الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام: ٨١-٨٢]

والحمد لله رب العالمين